٥- الإيمان باليوم الآخر

- **معنى الإيمان باليوم الآخر:** هو الإقرار بأن هناك يوماً تنتهي فيه الحياة الدنيا، ويقضي فيه الله تعالى بين العباد، ويعقب ذلك مصير إلى الجنة أو إلى النار.
- **وقد بيّن الله تعالى في كتابه المراحل المتعاقبة لهذا اليوم:**

١- فهي تبدأ بأهوال وانهيار هائل في نظام الكون، صوّره القرآن الكريم لنا تصويراً مخيفاً في مواضع عديدة، منها قوله تعالى:

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾ الحج: ١ - ٢

٢- ويعقّب ذلك نفخة في الصور، يصعق منها من في السماوات والأرض إلا من شاء الله تعالى، **ثم ينفخ في الصور مرة أخرى،** يُبعث على إثرها من صعق، وكل من مات من الخلائق من قبلُ منذ آدم عليه السلام فيقضي الله بين العباد بما كان منهم في الدنيا ، ثم يجازي كلاً منهم بالجنة أو النار.

٥- الإيمان باليوم الآخر

كيف نردّ على من أنكر اليوم الآخر؟

١- **الإيمان باليوم الآخر مما تقتضيه العقول السليمة** ذلك أنّ الإنسان يشاهد الناس يظلم بعضهم بعضا، ويعتدي بعضهم على بعض، ويموت كثير من الظالمين والمعتدين دون عقاب، وتنتهي حياة كثير من المظلومين والمستضعفين دون إنصاف، ولا يُعقل أن يكون الله تعالى الحكيم العادل قد خلق هذا الخلق العظيم وكل هذه المليارات من الناس منذ آدم عليه السلام وإلى يومنا، يتعاقبون جيلاً بعد جيل، لينتهوا تلك النهايات الظالمة، دون قضاء وانتصاف وإحقاق حق، ودون مكافأة للمحسن ومعاقبة للمسيء.

ولذلك عجب القرآن الكريم ممن ينكرون اليوم الآخر، كيف يظنون أنّ الحياة الدنيا هي نهاية المطاف ، وأنّ الله تعالى يترك الظالمين دون عقاب، والمستضعفين دون انتصاف وجزاء، قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ القلم: ٣٥ – ٣٦

٢- **وفي ذلك الإنكار لليوم الآخر، أيضاً إساءة ظن بالله تعالى**، حيث يظنون به الظلم والعبث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾

المؤمنون: ١١٥ - ١١٦

والإيمان باليوم الآخر له أثر كبير في استقرار المجتمع واستقامة أفراده، لأنّ الإنسان ينضبط سلوكه ويستقيم، حين يوقن أنه سيُعاقب على كل ظلم وشر، وسيُثاب على كلّ برّ وخير، ولذلك اهتمّ القرآن الكريم بهذا الركن من أركان الإيمان، وأكثرَ من الجمع بينه وبين الإيمان بالله تعالى.

٦- الإيمان بالقضاء والقدر

معنى الإيمان بالقضاء والقدر: هو الإقرار الجازم بأن الأشياء والأحداث، توجد حسب علم الله تعالى المسبق الشامل وإرادته المطلقة.

الفرق بين القضاء والقدر:

القدر: علم الله

والقضاء: إيجاد الله الأشياء حسب علمه وإرادته.

فلا شيء في هذا الكون يحدث اعتباطاً، فالله تعالى هو الذي قدّر منذ الأزل ما يحدث قبل أن يحدث، وكيف ومتى وأين سيحدث، وسجل ذلك في كتاب لم يفرط فيه بشيء، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ القمر: ٤٩

والإيمان بالقضاء والقدر فرع من الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته: إذ هو إيمان بعلم الله تعالى الشامل التام، وإرادته المطلقة، وقدرته التي لا حدود لها على فعل ما يريد، وذلك على الله تعالى يسير، كما قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ الحديد: ٢٢

٦- الإيمان بالقضاء والقدر

وللإيمان بالقضاء والقدر آثار عظيمة في نفس المؤمن، أشار إلى أهمها قوله تعالى:

الفرق بين القضاء والقدر:

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٢ - ٢٣

فالمؤمن يواجه المصائب بنفس راضية مطمئنة صابرة:

- **ولا يرهبه تهديد بالقتل أو توعّد بقطع الرزق.**
- **ولا يخاف ولا يجزع ولا ييأس.**
- **ولا يداري أحداً ولا ينافقه في حق.**
- **وإذا أصابه خير لا يغترّ ولا يتكبّر على الناس.**

لأنه يعلم أنه لا يحدث له شيء إلا بإذن الله تعالى وعلمه، وأنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

الإيمان بالقضاء والقدر ومسؤولية الإنسان عن أفعاله:

الأحداث في الحياة نوعان:

١- **إما أحداث كونيّة:** مثل حركة الشمس والقمر والرياح والأمطار.

٢- **أو أحداث إنسانية**، وهي نوعان:

- **إجباريـة:** لا دخل للإنسان فيها مثل ولادته وموته ونسبه وطوله ولونه.
- **اختياريّة:** مثل اهتدائه وضلاله، واستقامته وعدوانه، وطاعته وعصيانه.

أما **الأحداث الكونية** وكذلك **الأحداث الإنسانية**، فواضح أنها تقدير مطلق من الله تعالى، ولا اختيار للإنسان فيها.

وأمّا أفعال الإنسان الاختياريّة ، فهي التي تثير تساؤل الناس كلما شُرِحَ لهم معنى عقيدة القضاء والقدر، إذ سرعان ما يواجهون الشارح بسؤال معهود ، وهو:

« إذا كان كل شيء يحدث بمشيئة الله تعالى وعلمه، ولا يمكن أن يفعل إنسان ما لم يأذن به الله تعالى، فأين هي حريّة الإنسان واختياره؟ وكيف يحاسب الله تعالى الناس على الماضي، مع أنها مقدّرة ومكتوبة مسبقاً، ولا مفرّ من حدوثها»؟

جواب القرآن عن هذا السؤال

إن استشكال الجمع بين عقيدة القضاء والقدر واختيار الإنسان، **استشكال قديم احتجّ به المشركون والعصاة لتسويغ شركهم و معاصيهم**، وهو ما حكاه القرآن الكريم وردّ عليه، قال تعالى:

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩ ﴾

الأنعام: ١٤٨ - ١٤٩

وقد تضمنت الآيتان الكريمتان ثلاثة ردود رئيسية على هذه الشبهة:

الرد الأول: أنه لو كان المشرك والعاصي مُجبراً على ما صدر منه، لما استحق معاقبة الله تعالى. كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ وفي هذا الرد إحالة على ما يشعر به كل إنسان ويعلمه من نفسه، أنه مختار ومسؤول مسؤولية تامة عما يفعل، في حين يرتكب خطيئة ما ، كالقتل مثلاً، يؤنّب نفسه، ويدرك أنه لو عوقب على فعلته، أن ذلك يكون عين العدل.

الرد الثاني: أنّ المشرك والعاصي والمحتجّ بالقدر على معصيته، يزعم أنه ينفّذ إرادة الله تعالى وما كتبه عليه منذ الأزل ، مع أن ذلك المكتوب غيب لم يطّلع عليه. قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٧﴾

فهَلا وحّد الله تعالى وأطاعه، ليكون التوحيد والطاعة هما المكتوبين عليه لا الشرك والمعصية ؟! وفي ذلك إشارة إلى أنّ المكتوب عند الله تعالى، ليس الا تسجيلاً مُسبقاً لِما سيقوم به الإنسان بمحض اختياره، ولا يؤثر في هذا الاختيار، فعلم الله تعالى، كما تشير الآية الكريمة، هو (علم مُسبَق كاشف لا يؤثّر في المعلوم).

ونضرب مثالاً واقعياً يقرب إلى الأذهان هذه الحقيقة ، ولله المثل الأعلى :

فلو توقّع مدرّس علامات تلاميذه، ومن سينجح منهم ومن سيرسب، وأخبر مسبقاً عن توقعاته أو سجلها، وحدث أن صدقت أكثر توقعاته، فرسب أكثر التلاميذ الذين توقّع لهم الرسوب، ونجح أكثر التلاميذ الذين توقّع لهم النجاح، وحصلوا على علامات مقاربة أو مطابقة لما توقعه لهم، فإنه:

١- لا يستطيع أحد أن يزعم أن توقعات المدرّس كانت هي السبب في نجاح من نجح ورسوب من رسب.

٢- ولا يستطيع أحد أن ينكر ضرورة معاقبة الراسبين أو تأنيبهم، ومكافأة الناجحين والمتفوّقين.

ويتضح هنا أنّ توقع المدرّس المسبق، لم يكن مؤثراً في حدوث ما توقعه، ولم يقم بإجبار أي تلميذ على النتيجة التي توقعها له.

وهكذا هو علم الله تعالى المسبق بما سيفعله العباد، لا يؤثّر في إحداث أفعال العباد، فلله تعالى أن يعاقب من أساء منهم وخالف، ويكافئ من أحسن وامتثل، لكن الفرق بين توقّع المدرّس وعلم الله تعالى، أن علم الله تعالى علم دقيق وشامل وكامل يتناسب مع كمال الذات الإلهية، ولا يمكن أن يتخلّف أو يُخطئ، بينما توقّع المدرّس قد يُصيب وقد يُخطئ.

الرد الثالث: أنّ الله تعالى لو كان مجبراً العباد، لأجبرهم جميعاً على طاعته وعبادته، ولما وُجِدَ مشركون وعُصاة ، لأنّ من أراد تحقيق شيء بالإجبار، فإنما يحقق ما يرضاه ويحبه، لا ما يُغضبه ويُسخطه، فوجود أمثال هؤلاء واحتجاجهم بالقدر على معاصيهم وضلالهم، هو بحد ذاته دليل على كذب احتجاجهم. قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ

أناقش: كيف يمكن أن أفهم نسبة الهداية والإضلال إلى الله تعالى في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴿٨﴾ ﴾ فاطر: ٨

ارجع إلى المعجم المفهرس للقرآن الكريم في جذري (هدى) و(ضلّ) لأكوّن فهماً شمولياً لآيات الهداية والإضلال.